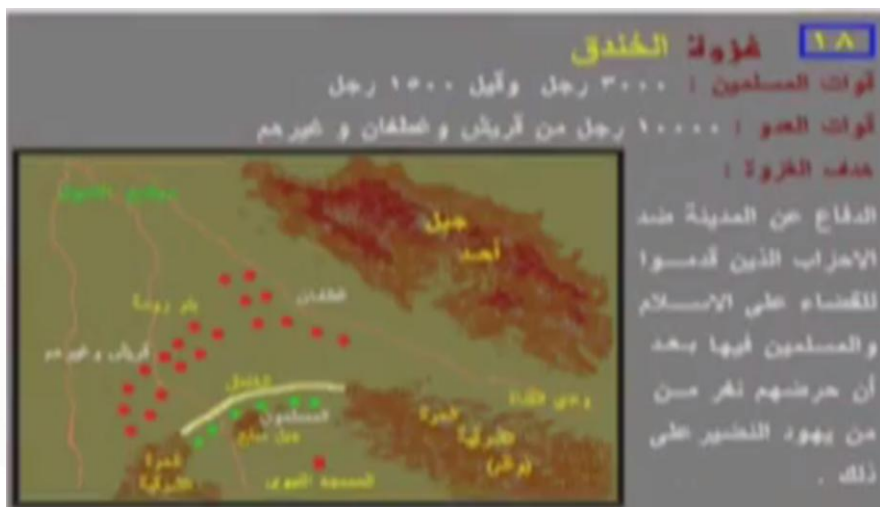


الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- كان الحديث وقف بنا أيها الأحبة، عند ذكر سبب غزوة الخندق، وقد أشار الحافظ ابن كثير -رحمه الله- إلى ذلك، وهو أن نفرًا من يهود بني النضير الذين أجلاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- من المدينة إلى خيبر، تحالفوا مع قريش، ونقضوا العهد، فتجمعوا وألبوا القبائل التي حول المدينة النبوية، حتى اجتمع من ذلك عددٌ كبيرٌ جدًا، بلغوا عشرة آلاف مقاتلاً.
- فلما علم النبي -عليه الصلاة والسلام- بهذا العدد الكبير من المقاتلين، وبهذا التآلب، وبهذه الخيانة التي حصلت، شاور المسلمين ما الذي يفعله، فأشار سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، وهذه من بركة المشورة، وأن الإنسان لا يحتقر شيئاً يقدمه لدين الإسلام ولو بفكرة، ليس بالضرورة أن تنفذ كل فكرة، بل اقترح، وقد ينفذ غيرك، فاقترح عليهم فكرة الخندق، وهي حيلةٌ من حيل الفرس في القتال، فاستحسنها النبي -صلى الله عليه وسلم- وبقي الصحابة مع النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يشاركونهم، ويكابد ما يكابدون من الجوع والألم والترقب، فكان -عليه الصلاة والسلام- بقي مع الصحابة قرابة أربعين يوماً، وهم يحفرون، يواصلون الساعة بالساعة، ليل نهار، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى إن أفواج الكفر لما اقتربت من المدينة، دُهِشوا من هذه المكيدة العسكرية، التي لم تكن العرب تعرفها من قبل.
- والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال في موضعٍ آخر: «الحرب خدعةٌ»، فأى وسيلةٍ يمكن خداع العدو بها عمومًا، والتحوُّط لصيانة الدماء والأموال والأعراض، فإنها من الحيل المشروعة، وهي صورةٌ من صور إعداد القوة.
- لما خرج النبي -عليه الصلاة والسلام- أو حصل الاستعداد هذا والتحصُّن، جعل النبي -عليه الصلاة والسلام- ظهور المسلمين إلى جبل "سلع"، المخرج الآن يُظهر لنا الصورة التي توضِّح خارطة أو موقع المسلمين من المدينة، وكيف ساروا، تلاحظون الآن في الشاشة هنا، الجبال الآن من جبل أحد الكبير هناك، ها ذاك وقعت فيه غزوة أحد، لاحظوا أسماء القبائل عندنا، هذه غطفان، وهذه قريش وغيرهم، هنا الخط الأصفر الصغير هذا يشير إلى الخندق، المسلمون كانوا جعلوا جبل "سلع" هذه البقعة الصغيرة هذه التي يدور حولها المؤشر، بجانب النقط الخضراء، هذا الجبل الصغير، استدبره المسلمون، لأجل أن تتجه العيون إلى هذه المنطقة،

وإلى ما بين "سلع" و"الحرة الشرقية" حتى لا تكون هذه المنافذ الضيقة منتهى النقطتين من الخط الأصفر، لا تكون منافذ ينفذ منها المشركون.



- الحصار طبعًا بلا شكٍّ كان شديدًا على المسلمين، وقد وصفه القرآن أبلغ وصفٍ، فكان كما قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ﴾ * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا^(١)، لكن هذا الابتلاء لم يزد المؤمنين إلا ثقةً بموعد الله -جلَّ وعلا-، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٢).
- أما القسم الآخر، وهو المنافقون: لما رأوا الأحزاب، وتجمعهم، وظنوا أن الدائرة ستكون على المسلمين، قالوا: ﴿وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٣)، والعياذ بالله، وكان قائلهم يقول: محمدٌ يعدنا أننا سنفتح قصور كسرى، وقيصر، وأحدنا من الخوف لا يستطيع أن يقضي حاجته، ولكن هذا شأن القلوب المهتزة، هذا شأن القلوب التي لم تؤمن حق الإيمان، ولم تصدق في إيمانها، تجد أن الشدائد تهزها، وربما تسقطها، واليوم نجد هذا يتكرر، تجد بعض الناس أدنى فتنة، أدنى شدة يسقط معها، بينما المؤمنون، لا تزيدهم الشدائد إلا ثباتًا، ولا تزيدهم الشدائد إلا يقينًا بموعد الله -جلَّ وعلا-.
- وأنا أقول للإخوة والأخوات: اليوم الأمة تمر بشدائد، لم تمر بها قط من قبل، فالمؤمنون يقولون: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ولا تزيدنا هذه المحن إلا يقينًا بأن دين الله منصور، ولكن يجب علينا أن نبحث عن وسائل النصر، وأن نتجنب أسباب الإخفاق وتسلب الأعداء علينا، التنازع التفرق العداوة، إل إل إلى آخره، وحينئذٍ يأتي النصر بتحقيق أسبابه.
- أشار ابن كثير، وأنا كما قلت مضطرًا للاختصار، لكن أشير إلى بعض الفقرات، والكتاب بين أيدي الإخوة والأخوات، لكن نشير إلى أهم الدروس.
- يقول ابن كثير: لبث المشركون محاصرين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شهرًا، ولم يكن بينهم قتالٌ، لأجل ما حال الله به من أمر الخندق، بينهم وبينهم، بين المسلمين، وبين المشركين والأحزاب عمومًا، وهذه الغزوة

(١) سورة الأحزاب: الآيتين 10، 11.

تُسَمَّى بالاسمين، غزوة الأحزاب، نظرًا للتجمع الذي حصل بين قريش، وبعض قبائل العرب ضد المسلمين، وتُسَمَّى غزوة الخندق، باعتبار ما حصل بين الحفر.

• ثمة مناوشاتٌ حصلت حول الخندق، في أطرافه، حاول بعض فوارس الكفار مثل ابن قمئة وغيرهم، وعكرمة بن أبي جهل قبل أن يُسلم، أن يدخلوا مع هذه الفتحات، لكن كانت جنود المسلمين لهم بالمرصاد، حتى أن علي بن أبي طالب لما قابل ابن قمئة، وقد قارب المائة كما يقول ابن كثير، قال: أنا لا أريد أن أقتلك، أنا توّك شابٌ صغيرٌ، قال: ولكني، والله أحب أن أقتلك يا عدو الله، فنزل له عليٌّ، وقتله، ففرت بقية الفوارس، راجعين خائبين.

• ثم ذكر شعار المسلمين "حم، لا يُنصرون"، وقد ذكرنا فائدة هذه الشعارات، أشبه بما تكون بالشفرة العسكرية المستخدمة اليوم.

• ثم حصل ما حصل من الشدة حتى على المشركين، طال الأمد عليهم؛ لأن بقاء ليلة واحدة، أو يومًا واحدًا، معناه أن هذا فيه مزيدٌ من استنزاف المؤن، واستنزاف الأرزاق، ومزيدٌ من القلق في نفوس الأعداء، وأشد ما تكون الهزيمة، حينما تبدأ من الداخل، هذه التي لا دواء لها، ولذلك بدأت كما يُقال بدأت رياح الهزيمة المعنوية تدب في نفوس المشركين، منذ أن بدأت الرياح تقلب قدورهم، وتقتلع خيامهم، وأصبحت المسألة فيها صعوبةً، وقضية الخوف والقلق موجودةً بين الطائفتين، وهنا تقف بإكبارٍ وإجلالٍ لمواقف الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم -، فمع هذه الشدة، ثلاثة آلاف، ماذا يصنعون بعشرة آلاف؟ وفي منطقة ضيّقة وصغيرة، لو نفذ هذا الجيش من أي فتحة، لاستئصلت المدينة، ومع ذلك، لم تقع من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وحاشاهم أي خيانة، وأي غدرة.

• لقد كان عثمان - رضي الله عنه - بإمكانه أن يرسل ابن عمه، أبا سفيان بن أبي حرب في ذلك الوقت، ويقول له: أنقذنا، ابحث لنا عن مخرج، أبدًا، وأقسم بالله، لئن يُشوى أحدهم بالنار، أهون من أن يمر بخاطره أن يغدر برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أو أن يتركه وحيدًا، حاشاهم - رضي الله عنهم وأرضاهم -، وهذه من المواضع التي تزيد المؤمن حُبًا في أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

• ثم حصل ما حصل، وأرسل الله - جلّ وعلا - على قريش ما أرسل من الرياح التي أكفأت قدورهم، كما قلنا، واقتلعت خيامهم، وأرسل النبي - عليه الصلاة والسلام - حذيفة بن اليمان من أجل أن يستطلع الخبر في قصة مشهورة، فجاءهم بالخبر، فلما أصبح النبي - عليه الصلاة والسلام - بعد أن أرسلت عليهم الرياح التي ذكرنا وصفها، انكفأ جيش المشركين منهزمًا راجعًا، خاسرًا لم يظفر بشيء، حتى إنه لم يُذكر أن هناك أحدٌ من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - قُتل في تلك المعركة، بخلاف من قُتل من المشركين، فقد قُتل منهم أعدادٌ.

• فلما أصبح النبي - عليه الصلاة والسلام -، وقد انفلت جموع المشركين، رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، وقال له جبريل: "وضعتك السلاح؟" قال: «نعم»، قال: "أما نحن، فلم نضع السلاح بعد، اغدوا إلى بني قريظة"، وهؤلاء هم الذين ألّبوا كفار قريش على المسلمين في غزوة الأحزاب، وهؤلاء لا بد أن يؤدّبوا على خديعتهم، وعلى نقضهم العهد، وبالفعل نهض النبي - عليه الصلاة والسلام -، وقال لأصحابه القصة المشهورة: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، وحصل ما حصل من اجتهد الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - في صلاة بعضهم في الطريق، وبعضهم صلاها بعد المغرب، كلٌّ منهم أخذ مأخذًا.

- فأعطى النبي -عليه الصلاة والسلام- الراية عليّ بن أبي طالب، وحاصرههم -عليه الصلاة والسلام- خمسًا وعشرين ليلةً، فلما اشتد الحصار عليهم، عرض عليهم سيدهم كعب بن أسد، سيد بني قريظة ثلاثة خصالٍ: الأولى: إما أن يُسلموا، ويدخلوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإما أن يقتلوا ذراريهم، ويخرجوا بدون شيءٍ، حتى يُقتل آخرهم، وإما أن يهجموا على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يوم السبت، لماذا يوم السبت؟ لأن الصحابة سيكونون حينئذٍ آمنين، اليهود لا يقاتلون يوم السبت، فرفضوا كل هذه العروض، ولم يعطوا سيدهم منها شيئاً.
- المهم أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يخاطبهم بعد هذه المدة من الحصار، وأرسل إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر، وحصل ما حصل في قصة بسطها الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-.
- يقول: ثم إن بني قريظة نزلوا على حكم النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأخير، فاستطاعوا أن يصمدوا، فنزلوا على حكمه، فأسلم في تلك الفترة بعض هؤلاء اليهود، ولما نزلوا على حكمه -صلى الله عليه وسلم- قالت الأوس: قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء مواليها، يعني بيننا وبينهم أحلافٌ وعلاقاتٌ قديمةٌ في الجاهلية، فقال لهم: **«ألا ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟»** ، قالوا: بلى، فأنزلهم على حكم سعد بن معاذٍ -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، فحكم فيهم بذلك الحكم الذي شهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه حكم الله من فوق سبع سماواتٍ، حكم بأن تُقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم ونسأؤهم، فقتل النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم قرابة الستمائة، وقيل: سبعمائة يهوديًا، ولم يستبق إلا من كان صغيرًا، أو كانت امرأةً.
- وممن سلم محمد بن كعب القرظي -رضي الله عنه وأرضاه-، فإنه كان صغيرًا يومئذٍ، ولم يُقتل، فأكرمه الله -جلّ وعلا- وصار من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-.
- وقسم النبي -صلى الله عليه وسلم- أموال هؤلاء بين المسلمين، للراجل سهمٌ، وللفراس ثلاثة أسهمٍ.
- ثم لما حكم فيهم سعد، قال دعوته المشهورة: "اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقني لها"، انظر المهمة، والرغبة في إعلاء دين الله -جلّ وعلا-، والانتصار من أقوامٍ قاتلوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وآذوه، وطردوه، وأخرجوه، "وإن كنت رفعت الحرب بيننا وبينهم، فافجرها"، ماذا يقصد بـ"افجرها"؟ كان قد أصابه في أكحله، في أسفل قدمه أصابه جرحٌ، كواه النبي -صلى الله عليه وسلم- على إثره، لكنه لم ينتفع -رضي الله عنه- بذلك، ولكن قال أمنيةً واحدةً: لا تمتني حتى تشفيني من بني قريظة، الذين هم مواليه السابقين، أو من كان بينهم وبينهم حلفٌ، لكنهم نقضوا العهد، كان ممتلئًا قلبه غيظًا عليهم، كيف نقضوا العهد، وحصل ما حصل بسببهم.
- وسبحان الله، مات -رضي الله تعالى عنه- بعد أن أصدر هذا الحكم، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه اهتز لموته عرش الرحمن، كم تتوقعون أيها الإخوة والأخوات عمر سعد بن معاذ -رضي الله عنه- حينما مات؟ عمره ست وثلاثين سنةً فقط، وأنت تقرأ سيرته تظن أن عمره سبعون، أو ثمانون، ما هذا الرجل الذي مات، واهتز لموته عرش الرحمن، وهو لم يبلغ أربعين سنةً؟ يا له من رجلٍ عظيمٍ! ولنتساءل أيها الإخوة والأخوات، ما هي الأعمال التي قام بها هذا الرجل العظيم سعد بن معاذ حتى يبلغ هذه المنزلة العالية؟ أن يهتز لموته عرش الرحمن، وأعجب من هذا: أن ما بين إسلام سعد، إلى أن مات -رضي الله عنه- سبع سنواتٍ فقط، سبع



- ثم غزوة ذي قرد أيضاً أغار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بليالٍ عيينة بن حصن في بني عبد الله بني غطفان على لقاحٍ للنبي -صلى الله عليه وسلم-، التي في الغابة، فاستاقها، وقتل راعيها، وأسر المرأة، ثم بعد ذلك لحق بهم سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-، وكان رجلاً عداءً قويًا، حتى إنه قال: "أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرُّضْع"، يوم اليوم يوم اللثام، سأريكم ماذا أفعل، فرضي الله عنه لحق بالإبل كلها فاستاقها وأرجعها، وهم في الطريق راجعون، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**خير رجالتنا اليوم، سلمة، وخير فرساننا أبو قتادة**»، ونحر النبي -صلى الله عليه وسلم- جزورًا في الطريق، وأطعم الصحابة -رضي الله عنهم-.
- ثم جاءت غزوة بني المصطلق أيضاً، المخرج المكرم يعرض لنا الخريطة، نريكم فقط موقع غزوة ذي قرد، هي كانت في هذا الموضع، لاحظوا الشاشة، هنا، هذه المدينة، ولاحظوا جهة مكة هنا، هي كانت شمال شرق المدينة، غزوة ذي قرد، وذوقرد هذا جبلٌ أسود بأعلى وادي النقرة، شمال شرق المدينة، تقريبًا خمسةً وثلاثين كيلو، كما تلاحظون في الشاشة، لاحظوا المدينة الآن باللون الأخضر الفاتح، ذي قرد باللون الأصفر هذا، المسافة بين النقطة هذه والنقطة هذه قرابة خمسةً وثلاثين.
- والغابة موضع في شمال المدينة، تقريبًا ست كيلو فقط عن الحرم، تُعرف اليوم بالخليل، ولكن هؤلاء اقتادوها حتى أدركهم سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه- بعد خمسةً وثلاثين كيلو، وكان رجلاً عداءً.
- أنا قست مسافة المشي عنده، ممكن أن يصل في الكيلو الواحد ربما يقطع قرابة ما أدري خمسة عشر كيلو، أو اثنا عشر كيلو، سريع جدًا، وقد بسط الإمام مسلم قصته مطوّلة في صحيحه، فمن أراد أن يقرأ شجاعة سلمة، وماذا صنع، فليرجع إلى صحيح مسلم، باب في غزوة ذي قرد.



- ثم جاءت غزوة المصطلق، أو غزوة المريسيع، تُسمَّى غزوة بني المصطلق، باعتبار القبيلة، التي غزاهم النبي - صلى الله عليه وسلم-، وتسمى المريسيع باعتبار الموضع والمكان الذي جاءهم فيه النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهو ماءٌ لخزاعة، يقع بين وادي قديد، الذي يبعد عن مكة مائة وعشرين كيلو، ويبعد عن المدينة ثلاثمائة كيلو.
- تلاحظون الموقع هذا، انظروا المريسيع باللون الأصفر، هذا موقع الغزوة، اليوم وأنت قادمٌ من المدينة إلى مكة، ستجد في اللوحات مكتوبًا "وادي ستارة" وهو "قُديد"، وعلى يمينك الجُحفة، وأنت متَّجِهٌ إلى مكة، وعلى يسارك المريسيع، هنا وقعت الغزوة.



- الغزوة هذه وقعت في شعبان في السنة الثامنة من الهجرة، وقيل غير ذلك، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- قد سبى في تلك الغزوة جويرية بنت الحارث -رضي الله تعالى عنها- التي صارت بعد ذلك أمًّا للمؤمنين -رضي الله عنها-، وببركة جويرية -رضي الله عنها- كما تقول عائشة أو حفصة: "ما رأيت امرأةً أكثر بركةً على قومها من جويرية" إذ لما سبأها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم أعتقها، تزوجها، أعتق الصحابة -رضي الله عنهم- كل السبايا الذين عندهم، وقالوا: لا نأسر أسهار رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكانت مباركةً على قومها.
- وفي تلك الغزوة، قال سيد المنافقين: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، وحصلت القصة المشهورة.

- وفي هذه الغزوة وقعت قصة الإفك، وهي قصةٌ معروفةٌ طويلةٌ، تستحق أن تُفرد بمجلسٍ مستقلٍ، ولكن كما قلنا: الوقت يضيق عن التفاصيل في ما نحن بصدده.
- ولكن من أبرز الدروس والعبر التي تُستفاد من قصة الإفك: أن الله -جلَّ وعلا- إذا أراد رفعة إنسانٍ ابتلاه، وهذا الابتلاء قد يكون جسدياً، وقد يكون نفسياً، والابتلاء النفسي، قد يكون أعظم وأشد على الإنسان، وخاصةً إذا كان هذا الابتلاء في تشويه عِرضه، وفي هذا أيضاً من الدروس: أن المنافقين في كلِّ عصرٍ لا يألون جهداً في تشويه سمعة أهل الإيمان، وخصوصاً منهم أهل العلم والدعوة، فيلقِّقون عليهم الثَّمن؛ من أجل إسقاط سمعتهم، وهذا ما يُعرف اليوم بالاصطلاح الإعلامي، بإسقاط الرموز، ولذلك تجد أعداء الإسلام، وكذلك أيضاً الغلاة، الذين ابتليت الأمة اليوم بهم، تجدهم يسعون إلى إسقاط قيمة العلماء في نفوس الناس، وفي نفوس الشباب، وفي الطرف الآخر، المنافقون، العلمانيون وغيرهم، يسعون أيضاً إلى إسقاط قيمة هؤلاء الرموز، لماذا؟ حتى يبقى الشباب لا ينظرون، ولا يعترفون بأحدٍ يقودونهم، أو يوجهونهم أو يرشدونهم، فإذا سقطت قيمة أهل العلم، الذين يُستأنس برأيهم، ويُستفاد بعلمهم، ومن تجاربهم، في عيون الشباب، لا من جهة هؤلاء العلمانيين، وغيرهم، ولا من جهة الغلاة، فإلى من يرجع الشباب؟ تجد كل واحدٍ منهم يقول: أبداً لا يهكم هؤلاء، هؤلاء علماء سلاطين، هؤلاء عبَّاد دنيا، وهؤلاء وهؤلاء، ثم يبقى الشاب يتصرف بنفسه، وبالتالي تقع هذه الكوارث، والمشاكل، فتجده إما ينحرف فكرياً سواءً في الغلو، أو في الإلحاد، وأمثال هذه المشارب، أو تجده ينحرف خلف الشهوات، ويتبع هوى نفسه، فلنحذر من هذا المسلك، فإن من أعظم دروس الغزوة هي هذا.
- ومنها أيضاً: أن أعظم الناس بلاءً الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأي شيء أعظم أيها الإخوة أن يقف النبي -صلى الله عليه وسلم- شهراً كاملاً، ينحبس الوحي من السماء، وهو يخطب على المنبر، ويرى في عيون بعض الناس تساؤلاتٍ، هل عائشة وقعت أو ما وقعت؟ هل العرض النبوي اختُرق؟ أو لم يُخترق؟ هذا صعبٌ جداً أيها الإخوة، والله صعبٌ، قسماً بالله، لو أن أحداً ابتلي بشيء من هذا في أحد قرابته لما أطاق أن يصعد على المنبر، فكيف برسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟
- فأعظم الناس بلاءً هم -صلوات الله وسلامه عليهم-، وأعظمهم بلاءً رسولنا -عليه الصلاة والسلام-، فصبر، ومنها دروس الإفك، وأختم به: قضية التآني، والتثبت مع الزوجة، أو العكس، في ما لو وصلتته تهمةً، ما يستعجل يقول: أنتِ فعلتِ، أنتِ فعلتِ، النبي -عليه الصلاة والسلام- قال لها: «يا عائشة، إن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله، وإن كنتِ صادقةً، فسيبرؤك الله»، ووقع الأمر، صدقت -رضي الله عنها-، كانت صادقةً، وبرأها الله من فوق سبع سماواتٍ، وأظهر الله كرامتها، وأنزل في شأن الإفك ست عشرة آيةً، جعلها الله -جلَّ وعلا- ذمّاً ولعنةً على المنافقين، وجعلها عزةً وكرامةً لأهل الإيمان، ولعائشة -رضي الله عنها- بالذات، ولنبيينا -صلى الله عليه وسلم-.
- ثم بعد ذلك انتقل -رحمه الله- إلى غزوة الحديبية، وهذه الغزوة وقعت في السنة السادسة من الهجرة، وموقع الحديبية اليوم معروفٌ، الذي خارج من مكة متجّه إلى جدة، سيجد منطقةً اسمها "الشميسي" هذه

المنطقة، على يسارك، وأنت متجةً إلى جدة، هذه هي منطقة الحديبية، أو المنطقة المكان الذي وقع فيه الصلح العظيم، الذي سنشير إليه -إن شاء الله تعالى- بعد قليل.

- النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج في أكثر، أو قرابة ألفٍ وأربعمائة رجلٍ من أصحابه، فجاءت المفاوضات بينه وبين قريش، يعني النبي -عليه الصلاة والسلام- لما وصل عُسفان، وهي تقريبًا ثمانين كيلو من مكة، علم بخروج قريش لتصدّه عن البيت، وتمنعه من الدخول، فسلّك النبي -عليه الصلاة والسلام- طريقًا نحو الساحل، حتى وصلوا إلى الحديبية، فأرسلت قريش خمسين فارسًا لمهاجمة المسلمين، لكنهم وقعوا في الأسر، فأطلق النبي -عليه الصلاة والسلام- سراحهم، وكما يُقال: تأكيدًا لصدقه، وأنه إنما أتى ليعتمر، لا ليقاتل، وإلا لو قتلهم، لقاتل قريش: جاء يقاتل، إذن سنقاتله، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يكن يقصد ذلك.
- المهم أنه لما جاء النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى ذلك الموضع، ترأسل هو وجماعةٌ من المشركين، وعلى رأسهم كان من الحضور سهيل بن عمرو، وكان من شروط الصلح: أن يرجع إلى المدينة، ولا يعتمر هذا العام، انتهوا، ومن الشروط أيضًا، التي وجد المسلمون فيها غضاضةً، يعني مشقةً، ورأوا فيها أن فيها هضمًا لحقهم، ومنزلتهم، أنه من جاء من المشركين إلى المسلمين يرجعه المسلمون، ومن جاء من المسلمين إلى المشركين فإنهم لا يرجعون.
- قال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله، ألسنا المسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أليسوا المشركين؟ قال: «بلى»، قال: فلمْ نعطي الدنية في ديننا؟ انظر العزة، نُفخت في روح عمر، نفخها الله فيه بهذا الإسلام العظيم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلمةٌ عظيمةٌ: «إني رسول الله ولست أعصيه»، إذن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتصرف بوحى، والعجيب ما هو؟ أن عمر -رضي الله عنه- جاء إلى أبي بكر قبل أن يأتي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: يا أبا بكر، ألسنا المسلمين، ألسنا على الحق؟ أليسوا هم المشركين؟ ونفس الأسئلة هي إجابات النبي -صلى الله عليه وسلم-، قبل أن يسمع إجابات النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا الموقف وغيره، يُسمّى أبو بكر الصديق، توافق مواقفه وأقواله مواقف وأقوال النبي -عليه الصلاة والسلام-، فتعجب عمر -رضي الله عنه-.
- عمر -رضي الله عنه- من موقفه هذا الذي خرج مخرج العزة، والغضب لله ولرسوله، وللإسلام، قال: فعملت لذلك أعمالًا، يعني شعرت أنني أخطأت حينما كنت بهذه الحماسة، وانظروا بركة الرجوع إلى أهل العلم، عمر من هو؟ عمر هو عمر، ومع ذلك ما استفرد برأيه، وإنما جاء يعرض على أبي بكر؛ لأنه أكبر منه، وأعلم منه، وأفضل منه، ثم جاء يعرض على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأخبره النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه على الحق، وقال: يا رسول الله، ألم تعدنا أننا سنأتي البيت ونطوق؟ قال: «هل قلت لك: إنك ستأتيه العام؟» يعني أنا قلت لك في سنة ستة من الهجرة ستأتي إلى مكة؟ قال: لا، قال: «أما إنك آتية ومطوّفٌ به»، صدق -صلى الله عليه وسلم-، وحصل هذا في سنةٍ وتسعة شهورٍ، وجحافل المسلمين دخلت فتح مكة كما سيأتي.
- فهنا استقر وهدأت نفس عمر، وأكثر المسلمين كما أشار ابن كثير -رحمه الله-، كانوا يشعرون بأن الأمر صعبٌ عليهم، لكن نحن نرى شيئًا، ونريد شيئًا، والله -جلّ وعلا- يريد، ولا يمضي إلا ما يريد -جلّ وعلا-.

- من الشروط التي وقعت على أن يعتمر النبي -صلى الله عليه وسلم- من العام المقبل، وليس معه إلا جلبان السلاح، والمقصود بجلبان السلاح هنا: هي أشبه ما تكون بالوعاء الذي يضم السيف، جراب السيف، هو هذا، فهذا كان من شرطهم، وأيضاً إذا اعتمر أن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام، انظروا إلى الشروط التي في ظاهرها ضيماً، وسبحان الله، لما انتهى الصلح، والقضية وكذا، أول ما انتهت جاء أبو جندل -رضي الله عنه- من مكة إلى الحديبية، فقال سهيل: هذا أول ما نقاضيك عليه، نطبق الآن الشروط، فأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يرجع، وقال: لا أستطيع بعد ما وقّعنا الاتفاقية، انظر هذه المبادئ لا تنخرم كما مر معنا مراراً، لا في حربٍ، ولا في سلمٍ، مادام اتفقنا وتعاهدنا، لا نخيس بالعهد، ولا نكذب، ولا نغدر، هذا دينٌ، وليس حديثاً عن شخصٍ معينٍ.



- فقال: هذا أول ما نقاضيك عليه، يرجع إلينا أبو جندل، فردّه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهرب أبو جندل مع أبي بصير إلى سيف البحر في قصةٍ معروفةٍ، المهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- طبق، مع مرارة هذا، وأن أجزم جزءاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في داخله يتقطّع على حال هؤلاء، لكن المسألة ليست مرتبطةً بشخصٍ معينٍ، بأبي جندل، أو بأبي بصير، القضية مرتبطةٌ بالإسلام كله، وبهذا تعلم عظيم الجناية التي يقع فيها بعض الشباب الذين يتسببون في إحراج المسلمين كلهم في بلاد الإسلام، أو حتى في بلاد غير المسلمين، فتجده يفجر، أو يتقصّد أماكن حيويةً كما يُقال، ويضرب، ثم بزعمه أنه قدّم قرباناً أو نفعاً عظيماً للإسلام، وهو يُضرب بملايين المسلمين الموجودين في تلك البلاد، فيشدد عليهم، ويعتقلون، وربما ضيقوا، فبدلاً من أنهم يؤدّون الصلاة بارتياحٍ، المرأة تتحجب كما تريد، لا، الحجاب ممنوعٌ، وربما أُقفلت عددٌ من المراكز الإسلامية، وربما ضُيق على التبرعات، بماذا؟ بفعلٍ أرعن من شائٍ لا يفقه، لا يرى أن الجنة تُدخل إلا من هذا الطريق، الذي هو رسمه لنفسه، دون أن يرجع إلى علماء، دون أن يرجع إلى أناسٍ، يقدّرون المصالح والمفاسد، هب أنك قتلت كافراً أو كافرين، ماذا تصنع بملايين المسلمين الموجودين في هذا البلد؟ يُضيق عليهم بسبب فعلك، وهذا من شؤم الاستفراد بالرأي، وعدم النظر في المآلات والبعد عن رأي العلماء والصادقين والناصحين.
- ذكر الحافظ ابن كثير أن هذه الهدنة كانت من أكبر الفتوح، ولهذا -سبحان الله- من الأشياء التي قدّرها الله - سبحانه وتعالى- في هذا: أنه لما انصرف -عليه الصلاة والسلام- من صلح الحديبية، أنزل الله -جلّ وعلا- عليه أي سورة؟

- سورة الفتح، وقال الله -جلَّ وعلا- فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٤)، انظر كيف أكَّده -جلَّ وعلا- بأنه فتحٌ، قال: ﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ أكَّده بهذا المصدر، ثم وصف هذا المصدر بأنه فتحٌ مبينٌ، لا إله إلا الله، أي فتحٌ، وأيُّ إبانةٍ عن فتحٍ في هذه الشروط التي ظاهرها هضمٌ، ولكن الله -جلَّ وعلا- يقضي، يعني أوحى إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهو العليم الحكيم، وهو العليم بمآلات الأمور، فكان فعلاً هذا فتحاً، حتى إن ابن مسعود قال: إننا لا نسمى الفتح إلا فتح الحديبية، وإن كان هذا فتحاً، لكن لاشك أن الفتح الأصلي هو فتح مكة، ولهذا بعض العلماء يفرِّق بين ما ورد في القرآن الكريم مُنْكَرًا أنه صلح الحديبية، وما جاء مُعَرِّفًا، فهو فتح مكة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٥)، هذا فتح مكة، وفي أول سورة الفتح: ﴿فَتَحْنَا مُبِينًا﴾، نكرةٌ، وإن كانت موصوفةً، لكنها دالةٌ على صلح الحديبية. هذا ما يتعلق بصلح الحديبية، وفيه تفاصيل، ذكرها الحافظ ابن كثير.
- قال -رحمه الله-: إن مدة إقامتهم في الحديبية، كانت نحوًا من عشرين ليلةً، ثم انتقل إلى الكلام على غزوة خيبر.
- الآن طوينا صفحة السنة السادسة من الهجرة، وافتتحنا صفحة السنة السابعة من الهجرة، في مفتتحها، وفي شهر محرم الحرام، على رأي جمهور أهل العلم، وقعت غزوة خيبر، وهذا هو الصحيح، أنها في شهر محرم، وعليه أكثر أهل العلم.
- وكان قصة الغزوة هذه ولاحظوا الآن خيبر، لعل المخرج الكريم يُخرج لنا الصورة الآن حتى نعرف أين موقعها، هي تقع قرابة مائة وخمسة وستين، مائة وسبعين كيلو شمال المدينة، وهذا موضعها الآن، لاحظوا في الخريطة، موضعها الآن باللون الأصفر، في أعلى الخارطة، وهنا المدينة، والطريق اليوم إليها سالكةٌ، لأنها إلى طريق تبوك والعلا، ستكون خيبر على يسارها، وهي محافظةٌ قائمةٌ اليوم، وهي إحدى المحافظات التابعة لإمارة منطقة المدينة المنورة.



- النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج إليها، وحاصرها حصناً حصناً، حتى فتح الله -جلَّ وعلا- عليه، قال -رحمه الله-: حتى استكملها وخمَّسها، يعني الغنيمة التي ذكر الله -جلَّ وعلا- تقسيم الغنائم في سورة الأنفال، وكان جملة من كان في غزوة خيبر، هم من حضر في الحديبية.

(٤) سورة الفتح: آية 1.

(٥) سورة النصر: آية 1.

- يقول: واستعمل اليهود الذين كانوا فيها، بعدما سألوا ذلك عوضًا عما كان صالحهم عليه من الجلاء على أن يعملوها، ولرسول الله -صلى الله عليه وسلم- النصف مما يخرج منها، يعني الصلح الذين قبله يهود خيبر، أن يعملوا في المزارع، ونحن نعلم أن خير أرض زراعية، فقالوا: أبقنا فيها، ونحن نعمل في الزراعة، ونصف ما يخرج من هذه البلد لنا، ونصفه لكم، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- في شروط الصلح: «نَبْقِيَكُمْ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ»، فجعل الأمر إليه -صلى الله عليه وسلم-، ولم يعطهم مثلًا هديةً مفتوحةً، وتبقون أبد الأبد، لا؛ لأنه علم -عليه الصلاة والسلام- بتعليم الله له أن الأمور ستؤول إلى طرد هؤلاء من خيبر، وتخليص هذه المنطقة كلها لتكون بلدًا إسلاميةً محضةً، والحكم فيها للإسلام، بغض النظر عن وجود ناسٍ من أهل الكتاب.
- وفي هذه القصة، أو في الغزوة، أهدت إليه المرأة التي سمّت الشاة، وأخبر الذراع الذي أكل منه، أنه مسمومٌ، فكفّ عن الأكل، فممن قُتل بسبب هذه الشاة المسمومة البراء بن معرور، وقد صنعت زينب بنت الحارث هذه اليهودية الشاة، فسَمَّتَه، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قالت: إن كنتَ نبيًّا فسيخبرك الله، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا من شرك، فلما قُتل البراء بن معرور بسبب هذه الشاة قتلها بالبراء -رضي الله عنه وأرضاه-، على سبيل القصص.
- فلما انتهت غزوة خيبر، قَدِمَ جعفر بن أبي طالب، وقَدِمَ أبو موسى الأشعري، وقَدِمَ أبو هريرة -رضي الله عنه- في جملةٍ من المهاجرين الذين كانوا في الحبشة، آخر أفواج الصحابة الذين بقوا في الحبشة، جاءوا بعد الغزوة، حتى روي عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «لَا أُدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ؟ بِفَتْحِ خَيْبَرٍ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ»، وقد استشهد من المسلمين بخيبر نحو العشرين.
- ثم فتح "فدك"، وهي قريةٌ في الحجاز، بينها وبين المدينة قرابة خمسين كيلو تقريبًا، وهذه أيضًا مما لم يقع فيها قتالٌ، فقسمها النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث شاء؛ لأنه تقدّم معنا أن الأرض التي تُفتح بدون قتالٍ، يقسمها الإمام كيف يشاء، بينما التي تكون بقتالٍ تُخَمَّسُ على طريقة الغنائم، التي وضحها الله في سورة الأنفال.
- ثم تكلم على فتح وادي القرى، وادي القرى وأنت ذاهبٌ إلى العلا، سيقابلك وتجد الجبال فيه بشكلٍ عجيبٍ جدًا، جبالٌ ضخمةٌ جدًا، وفيها ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- قصة الرجل الذي جاءه سهْمٌ غربٌ، يعني غادرٌ، فقتله، فقال الناس هنيئًا له الشهادة، فقال: «كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي غَلَّهَا» أشبه ما يكون بالرداء، مثل المشلح الذي يلبسه الناس عندنا «لَتَلْتَهَبَ عَلَيْهِ نَارًا»؛ لأنه أخذها قبل أن تُقسم الغنائم.
- ثم انتقل -رحمه الله- إلى الكلام على عمرة القضاء، وهذه وقعت في شهر ذي القعدة، من السنة السابعة، لكن لماذا سميت عمرة القضاء؟ هذه تذكرون في العام الماضي قالت قريش: لا تدخل مكة إلا العام القادم، وبجلبان السلاح، فوافقوا، فجاء النبي -عليه الصلاة والسلام-، وبعضهم يقول: إن المقصود بهذه العمرة، يعني بعضهم يفسرُها بهذا التفسير الذي ذكرناه، وبعضهم يقول: إنها التي قاضى عليها قريشًا، والمعنى واحدٌ، كما ذكر ابن كثير، وبعضهم يسميها عمرة القصاص، وهذا قليلٌ.

- فصار حتى بلغ مكة، فاعتمر وطاف بالبيت، وتحلل من عمرته، وتزوَّج في تلك الزيارة ميمونة بنت الحارث، بعد ما أحل، الهلالية، هذه خالة ابن عباس -رضي الله عنه-، وخالة خالد بن الوليد.
- وتمت الثلاثة أيام، وهذا أحد الشروط، فقالوا: لعليّ قل لصاحبك يخرج من مكة؛ لأنه مازالت البلد بأيديهم، فخرج -عليه الصلاة والسلام- حتى ما أمكنوه أن يبني بميمونة، فبنى بها بِسَرَفٍ وهي بلد على مكة من مسافة قريبة وليست بعيدة.
- والصواب في هذه القصة: أنه -صلى الله عليه وسلم- تزوج ميمونة حلالاً، وليس كما قال ابن عباس أنه تزوجها وهو مُحَرَّمٌ، فإن ابن عباس كان صغيراً، ولم يضبط القصة، والصواب أنه تزوجها وهي حلال.
- وهذا الخلاف في كونها تزوجها وهي محرمة أو حلال، سببٌ لخلاف أهل العلم، هل يجوز عقد النكاح على المحرمة أم لا؟ مذهب أبي حنيفة أخذ بحديث ابن عباس، وجمهور أهل العلم أخذوا بحديث ميمونة، التي أخبرت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوجها وهي حلال، وكذلك قول أبي رافع -رضي الله عنه-.
- بعد ذلك انتقل الحافظ ابن كثير إلى غزوة مؤتة، وهذه الغزوة مع أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يشهدها، إلا أنها لما كانت بأمره دخلت ضمن الغزوات النبوية، وكانت في السنة الثامنة من الهجرة أيضاً، بعثهم إلى مؤتة.
- مؤتة موقعها الآن تقريباً جنوب الأردن، أو وسط الأردن الغربي تقريباً، وهي في موضعٍ معروفٍ اليوم، حتى اسمها مازال موجوداً اليوم، تقع داخل المملكة الأردنية.
- سبب هذه الغزوة، أن هناك جمعٌ من المسلمين قُتلوا في تلك النواحي، فأراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يثأر لقتلهم، فبعث الجيش وأمر عليهم زيد بن حارثة، قال: «فإن قُتل، فالأمير جعفر، فإن أُصيب، فعبد الله بن رواحة».
- انطلق الجيش في ثلاثة آلاف، ودّعهم النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى بعض الطريق، وكان وداعه -عليه الصلاة والسلام- كما تذكر كتب السير الموسّعة، كأنه وداع المودع إلى غير رجعة، سبحانه الله.
- فلما كانوا بمعان، وهي مدينةٌ معروفةٌ اليوم في الأردن أيضاً، بلغهم أن هرقل ملك الروم خرج إليهم في مائة ألف، ومعه عددٌ من قبائل النصارى، النصارى العرب الذين كانوا في شمال الجزيرة، كقضاة، وبعض بقايا بلي وغيرها من القبائل.
- فهناك المسلمون تشاوروا، هل يكتبون للنبي -صلى الله عليه وسلم- يطلبون مدداً؟ أم يقاتلونهم؟ بما معهم من العدد والعدة؟
- فقالوا: إنكم لم تخرجوا إلا دفاعاً عن دين الله، وطلباً للشهادة، فاستقر رأيهم على أن لا يكتبوا شيئاً، فتقدّموا، والتحم الجيشان، فقاتل زيدٌ -رضي الله عنه- وقُتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فتصف الرواية أن جعفر -رضي الله عنه- كان يمسك الراية بيمينه، فقطعت، ثم أخذها بيساره، فقطعت، ثم احتضنها -رضي الله تعالى عنه- حتى قُتل -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-، وعمره ثلاث وثلاثون سنة.
- ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة على الترتيب الذي ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-، ثم لما قتل هؤلاء الثلاثة، أخذ الراية خالد بن الوليد، وكان قد أسلم قريباً، وكان كما وصفه النبي -صلى الله عليه وسلم- سيفاً

من سيوف الله -جلّ وعلا-، وانحاز بالمسلمين، لما رأى أن الأمر الآن يقترب من استئصال المسلمين، وأنه لا طاقة للمسلمين الآن بالاستمرار في المعركة، بعد أن قُتل القواد الثلاثة؛ لأن هناك تأثيراً معنوياً، أن يُقتل القواد الثلاثة، بهذه السرعة، أثر هذا المعنوي على المسلمين قوياً جداً، فقرر خالد بن الوليد أن ينحاز، ومن انحاز إلى فئة، أو من انحاز وحيد المسلمين ليحقن بقية الدماء، فهذا لا يعتبر فارزاً، ولذلك الله -جلّ وعلا- قال: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٦) وخالد -رضي الله عنه- تحيّر، بل حقن ما بقي من دماء المسلمين، فسعى النبي -صلى الله عليه وسلم- تحيُّره هذا فتحاً، قام -عليه الصلاة والسلام- كما في البخاري، ينعي قواد معركة مؤتة، قال: «فأخذ الراية رجلٌ فتح الله على يديه»، مع أنه ما حصل قتالٌ، لكنه لما نجا ببقية المسلمين، سعى النبي -صلى الله عليه وسلم- تحييده هذا فتحاً، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينعمهم، والدموع تذرّف على خديه الشريفين -صلوات ربي وسلامه عليه-.

- وهكذا كان يعيش -عليه الصلاة والسلام- آلام المسلمين، وكان يعيش مصائبهم، وكان ينعمهم. والنعي هنا المقصود به: الإخبار بالموت، دون أن يصحبه لطمٌ، أو شقٌّ جيبٍ، أو تأوهاتٌ كتأوهات الجاهلية، لم يقل: واجعفره، واعبد الله بن رواحاه مثلاً، أو وازيده، كلا، لم يكن -عليه الصلاة والسلام- يفعل شيئاً من ذلك.
- يقول ابن كثير -رحمه الله-: فأخذ الراية خالد بن الوليد، فانحاز بالمسلمين، وتلطّف حتى خلص المسلمون من العدو، ففتح الله على يديه، كما أخبر بذلك كله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أصحابه الذين بالمدينة يومئذٍ، وهو قائمٌ على المنبر، فنعى إليهم الأمراء واحداً واحداً، وعيناه تذرّفان -صلى الله عليه وسلم-.
- يقول: وجاء الليل، فكفّ الكفار عن القتال، ومع كثرة هذا العدو، وقلة عدد المسلمين بالنسبة إليهم، لم يقتل من المسلمين خلقٌ كثيرٌ، على ما ذكره أهل السير، فإنهم لم يذكروا إلى نحو العشرة، وهذه أيضاً من كرامات الله -جلّ وعلا-، وأنت لو قسمت هذا العدد، لو صحت الرواية به، أما المسلمين عددهم ثلاثة آلاف، لكن الروايات تقول بعضهم يقول مائة ألف، أو ستين ألفاً، لو فرضنا ستين ألفاً على ثلاثة آلاف، معناه أن كل ستين رجلاً من الكفار يقابل رجلين، كل ثلاثين رجلاً يقابلهم رجلٌ، ولاشك أن هذه قوة في المسلمين، ولاشك أن هذا يؤيد شاهداً من شواهد قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٧).
- قال -رحمه الله-: وكرّ المسلمون راجعين، ووقى الله شرّ الكفرة، وله الحمد والمنة.
- إلا أن هذه الغزوة كانت إرهاباً، لما بعدها من غزو الروم، وإرهاباً لأعداء الله ورسوله، يشير إلى غزوة تبوك، التي سيأتي ذكرها في السنة التاسعة من الهجرة، في شهر رجب -إن شاء الله تعالى-، وهذا ما سنذكره -إن شاء الله- في الدرس القادم.

- هنا إلى شهر جمادى الآخرة، من سنة ثمانٍ تقريباً، هذه أبرز الأحداث التي مرت في السنوات الماضية، في السنة الخامسة كما تقدّم معنا، من غزوة الخندق، إلى هذا الموضع، غزوة الخندق مرّت معنا، من الغزوات الكبرى والشهيرة، مرّ معنا الإشارة أيضاً إلى عمرة القضاء، وقبلها أيضاً الكلام على غزوة الحديبية، وما وقع

(٦) سورة الأنفال: آية 16.

(٧) سورة البقرة: آية 249.

ففيها من أحداثٍ، ثم غزوة خيبر، في السنة السابعة، في أول السنة السابعة من شهر محرم، وجاء الكلام على عمرة القضاء، ثم على بعث مؤتة، ومقتل الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-.

• بعد هذا تبدأ صفحةً جديدةً، ونقطة تحولٍ كبرى في أحداث السيرة العظيمة، وهي غزوة فتح مكة، وهذه الغزوة لها شأنٌ طويلٌ، وكبيرٌ، -إن شاء الله تعالى- سيكون حديثنا عنها مفتتح الدرس القادم -بإذن الله تعالى-.

وصلّى الله على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

